أدب نظريات فلسفية ولامواعظ أخلاقية ، ولاأدب عواطف هائمة متغنية بعذابها ، ولاأدب فن تجريدي خاص ، ولكنه أدب فيه من العناية بالحقائق والأخلاق والأحاسيس والجمال الفني الشيء الكثير ، دون أن يطغى جانب واحد على الجوانب الأخرى ، نوهو - بتعبير أخر - أدب يعكس الحقائق الكونية والإنسانية والفنية في آن واحد ، كل ذلك في إطار مذهب فكري وفني موحد ، بعيد عن التلفيقية والاحتذاء .

إن العقيدة الإسلامية التي جاءت لتفجر في الإنسان كل طاقاته للسير في طريق العبودية لله ، وهي العبودية التي تعني الحرية والسمو والتكامل ، إن هذه العقيدة لايمكن أن تهمل الجانب العاطفي في الشخصية الإنسانية ، بل إنها عنيت به عناية كافية بما يتناسب وحجمه ووظيفته ، وهي بذلك تختلف عن بعض المذاهب والنظريات التي تراوحت بين الإغراق في هذا الجانب أو الإهمال والتفريط به .

ولنتأمل قوله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبُهم لذكر الله ، ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأَمدُ ، فقَسَت قلوبهم،وكثير منهم فاسقون ﴾ ١٦ الحديد . ولنقتبس كلمات الشهيد السيد محمد باقر الصدر في التعقيب على هذه الآية بقوله : « ألم يأنِ لهؤلاء الذين أضاء الإيمانُ عقولهم وتمكنت العقيدة من نفوسهم وتبين لهم الحق متجسداً في أشرف رسالات السماء أن يفجر هذا الإيمان في نفوسهم موجاً من العاطفة ويشع فيها انفعالاً خاصاً يتفق مع طبيعة ذلك الإيمان وجوهره حتى تمتلئ قلوبهم بالخشوع للحق والإنقياد له والإنصياع إلى أوامره ونواهيه »(٢) .

لايمكن أبداً أن يتلقى الإنسان ذلك الفيض الإلهي دون أن يتفاعل معه بكل كيانه ، ويتجاوب معه بكل مشاعره ، لأن ذلك الفيض لايخاطب في هذ الكيان عنصراً من عناصره ، كالعقل مثلاً ، بل يخاطبه كله عقلاً وإحساساً ووجداناً .

فارق كبير بين أساليب الفلسفة في دعوتها للناس لاعتناق مفاهيمها ، فهي